

الحجاج في الشعر الجاهلي

(معلقة امرئ القيس، طرفة بن العبد) نموذجاً

الكلمات المفتاحية

(الحجاج، المعلقات، الاطلال)

Al-Hajjaj in pre-Islamic poetry suspended the man of Qais ,Tarfa Ibn al-Abed as a model

أ.م.د. جمال عجيل سلطان الازبجي

Jamal Ajeel sultan Alazbjee

Jamal alajeel 2017@ gmail.com

كلية التربية ٠٧٧٣١٩٩٢٥٧٢

أ. نرجس حسين زاير

Narjis Hussein Zayer

Narjis _h@yahoo.com

كلية العلوم السياسية ٠٧٧٠٧٨٣٦٠٥٦

المخلص

يعد موضوع (الحجاج) من الموضوعات القديمة والحديثة في الوقت نفسه، ذلك أنه يمتد قدمه ويرتبط مع بدء الكلام والمجادلة، وهو حديث لأنه قائم على الدراسات والبحوث (ونظرية الحجاج) بدءاً من (أوستن وسيريل) مروراً بـ (شارل بريمان) وصولاً إلى (أرسطو)، ومن الجدير بالذكر هنا أن نذكر دور (حازم القرطاجني) في التنويه بالقيمة الحجاجية للشعر وقوله باستعمال الإقناع في الشعر، أمر سائغ ومقبول. ومن هنا جاء بحثنا تطبيقاً لهذه الآراء، وقد اخترنا معلقتين اثنتين أنموذجاً للدراسة.

Abstract

The topic of (pilgrims) of the old and modern subjects at the same time, as it extends his foot and is associated with the beginning of speech and argument, a modern because it is based on studies and research (and the theory of pilgrims) from (Austin and Cyril) through (Charles Breman) to (Aristotle)), It is worth mentioning here to mention the role of (Hazem al – Qartagni) in mentioning the value of the pilgrimage of hair and saying the use of persuasion in the hair, is palatable and acceptable. Hence our research applied these views, and we chose the pendants as a model for that matter.

الحجاج في الشعر الجاهلي

المقدمة :

لا يخفى عن القارئ والمنتبع للأدب العربي بصورة عامة والجاهلي بصورة خاصة، ما للمعلقات من أهمية شعرية وتاريخية، فهي تمثل حقبة زمنية حافلة بالشعر وجماله ، ولا يمكن اغفالها وإهمالها، وطبي صفحاتها، لأنها أصبحت بنظر بعضهم من الموضوعات القديمة، التي

أشيعتُ درساً وكتابةً ، فهذه نظرة أدبية قاصرة، فالأديب الحضيف، والباحث المثابر يفتح أكثر من نافذة لدخول ضوء الفكرة .

والمعلقات قصائد فيها ما فيها من عناصر إبداعية مغرية تفتح شهية الباحث على تناولها من جوانب عدة ، بما أن أغلب الموضوعات التي سلط الضوء عليها ، هي موضوعات كلاسيكية تدور في جانب واحد ، لذلك ارتأينا أن نأخذ معلقة (امرئ القيس ، طرفة بن العبد) مثلاً ، لدراسة (الحجاج في الشعر الجاهلي) . فالسمة الحجاجية منغرسه في اللغة أصالةً .

ومن اجل إخراج هذه القصائد من ديدن الدراسات التاريخية والموضوعاتية، وتناولها من وجهة نظر حجاجية، إذ إن هذه المعلقة تُعد تفاعلاً خطابياً قائماً على الادعاء والاعتراض .

فضلا عن إن أسلوب البرهنة واضح فيها، وهو احد الأساليب المستخدمة في النصوص الحجاجية وأهمها، وتتطرق إلى الذاتية في بعض القضايا في توظيف بعض العمليات العقلية، للانتقال من فكرة إلى أخرى .

تهدف هذه الدراسة النصية إلى الكشف عن فاعلية الحجاج في بنية النص الشعري القديم وما يمتظهر به هذا التفاعل من جدليات تسعى إلى البرهنة واثبات الفاعلية، فإن (النص الحجاجي) يضحى مداراً لتوالد الأنساق الثقافية المتسمة بالانفتاح الدلالي اللامتناهي .

وبذلك نكون قد زاوجنا بين القديم والحديث بغية الخروج من النمطية البحثية والاستقصائية التي تنص على تفوق في اتجاه واحد ، وهذا لا يعني أننا أول من عمدنا الى هذه القراءة النصية ، بل هناك من سبقنا في هذا الجانب ، لكن حباً بتراثنا العربي الأصيل ، وتأييداً لما كُتِب ، حاولنا أن نسبر غور هذه القصائد ، لاسيما بما وفرته لنا الدراسات الحديثة من مناهج وآليات تمنحنا النظر من زاوية جديدة ، عن طريق عملية استقصاء بحثي للحجج المعتمدة في هذه المناهج .

الحجاج لغة واصطلاحاً :-

الحُجَّة في اللغة البرهان ، وقيل الحُجَّة ما دُوفِع به الخصم ، وقال الأزهري : الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظَّفَر عند الخصومة . وهو رجلٌ مُحجاجٌ أي جدل . والتحاجُّ : التَّخاضُّم، وجمع الحُجَّة حججٌ وججاجٌ . واحتجَّ بالشيء : اتخذهُ حُجَّةً (١)

وقد وردت لفظة الحجاج ومشتقاتها في القرآن الكريم في آيات عدة منها قوله تعالى ((وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ * نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ * إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)) (٢) .

والحجاج اصطلاحاً كما جاء في الكتب: هو عبارة عن سلسلة من الحجج تنتهي بشكل كلي إلى تأكيد النتيجة نفسها ، ويوصف بأنه طريقة تنظيمية في عرض الحجج ، وبنائها ، وتوجيهها نحو قصد معين ، يكون عادة للإقناع والتأثير ، فتكون الحجة في هذا السياق بمثابة الدليل على الصحة أو الدحض.(٣)

فالخطاب الحجاجي هو أولاً وبالدرجة الأساس فكر الآخر، وكلامه اللذان يتعارضان مع اعتقادي الخاص ، ولأنني أعارضه في نقطة ما يبدو خطابه مجانباً للحقيقة لا يرقى إلى اليقين، بل يظل ضمن دائرة الممكن والمحتمل ، ومن ثم فهو خطاب يتأسس على الصراع

^١ لسان العرب (مادة حجج) ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ج٤ ، ٣٨

^٢ سورة الانعام ، ٨٣ ، وينظر : سورة الشورى ، ١٦ ، وسورة البقرة / ١٥ .

^٣ ينظر : موسوعة لا لاند الفلسفية تعريب خليل احمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت ، الطبعة الثانية ،

١٤٢١-٢٠٠١ ، ٢٢٣ .

ويتولد من رحم الاختلاف حول قضية ما ، وعليه يكون الكلام تجسيدا لهذا الصراع الحوارى
بين منطق الأنا ومنطق الآخر.(٤)

فالحجاج بأبسط صورة هو محاولة التحكم ، أو التأثير فى الإنسان بوساطة اللغة ،
بمعنى أن التأثير فى الإنسان بأداة أخرى غير أداة اللغة ليس حجاجا ، لأن الحجاج فى
الأصل غايته هى الإقناع(٥)

نظرية الحجاج :

لكل نظرية أسس تستمد جذورها من نظريات أخرى ، وقد استحدثت نظرية الحجاج قيمتها
الحجاجية من نظريات الأفعال اللغوية التى وضع أسسها كل من (أوستن وسيريل) القائمة
على الطريقة التى يجب سلوكها لضمان استمرارية الخطاب ، وتحقيق غايته التأثيرية، وفى
المقابل ذهب (شارل بريمان) إلى أن الحجاج سمة تصف كل الخطابات، غايتها الاستحالة
والإقناع ضمن العلاقة بين الأنساق الصريحة والضمنية .(٦)

وهنا برز دور (أرسطو) فى تأكيد العواطف (الباطوس pathos)، إذ أسند إلى
العواطف دوراً فى الحجاج ، وجعل منها عنصراً أن أحسن الخطيب توظيفه تمكن من التأثير
فى جمهوره للقضية التى يدافع عنها .

وعليه فإن الخطابة عند (أرسطو) تتدخل فى الحالات والمسائل التى يعز فيها الظفر
بالحقيقة، والانتهاى إلى أن يرد اليقين، وأن مراهنتها تكون على ما هو ممكن ومحتمل ، لاعلمنا

^٤ ينظر : الحجاج فى الشعر العربى بنيته وأساليبه ، د. سامية الدريدي ، عالم الكتاب الحديث ، الاردن،
الطبعة الثانية ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ ، ٣٩ ، وينظر : فى فن الحجاج والجدل ، د.هدى وصفى ، دار
الهانى، ١٤٢٢-٢٠٠٢ ، ٩٨ .

^٥ ينظر : مدخل إلى الحجاج .. أفلاطون وأرسطو وشايمبيرلمان ، ١٢ . د.محمد الولي ، مجلة علم الفكر ،
الكويت ، العدد الثانى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ .

^٦ ينظر : الحجاج فى اللغة ، ٣٥٢ وينظر : كتابة الجاحظ فى نظريات الحجاج ، ١٦٨ . - ابو بكر العزاوى
، مجلة فكر ونقد ، العدد ٦١ سبتمبر ، ١٤٢٤-٢٠٠٤ هـ، علي محمد علي سلمان ، المؤسسة العربية للدراسات
والنشر ، ١٤١٠ هـ - ٢٠١٠ .

هو قطعي وثابت . فإذا كان من الصعب إقناع الناس بآرائنا ، فإنه من الممكن أن نجعلهم يرتاحون إلى ما نقول وننتصر له .^(٧)

وعليه تكون (المقومات الحجاجية) الذاتية لدى (أرسطو)، متوزعة على الباث وعلى المتلقي اللذين يتحقق بهما، وبالأساس المتلقي ، أهم انجاز (النظرية الحجاجية الأرسطية).

ويمكن القول : إن المعنى الموسع للحجاج الذي يشمل الشعر أيضاً ، إنه الخطاب الذي يسعى إلى تعديل ، أو تثبيت موقف، أو سلوك المتلقي بالتأثير فيه بالخطاب - أي الكلام - سواء أكان ذلك الكلام يغترف من معين العقل ، أم من معين العواطف والانفعالات .^(٨)

ومن الجدير بالذكر هنا، ومن الإنصاف أن نقول : إن حازم القرطاجني، هو أول بلاغي عربي ينوه بالقيمة الحجاجية للشعر حينما قال : ((إن التخيل هو قوام المعاني الشعرية، والإقناع هو قوام المعاني الخطابية . واستعمال الإقناع في الأقاويل الشعرية سائغ، إذا كان ذلك على جهة الإلمام في الموضوع بعد الموضوع ، كما أن التخيل سائغ استعمالها في الاقاول الخطابية في الموضوع بعد الموضوع . بل ساغ لكليهما أن يستعمل يسيرا فيما تتقوم به الأخرى ، لأن الغرض في الصناعتين واحد ، وهو اعمال الحلية في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر لمقتضاه . فكانت الصناعتان متآخيتين لأجل اتفاق المقصد والغرض فيهما . فذلك ساغ للشاعر أن يخطب لكن في الأقل من كلامه، وللخطيب أن يشعر لكن في الأقل من كلامه))^(٩) . وبعيدا عن النظريات القديمة، فقد اظهرت نظريات التواصل الحديثة والمعاصرة من قناعة عميقة بأهمية الخطاب الحجاجي، ودوره في الحياة المعاصرة والرأي العام والفكر المعاصر، بل وكل نشاط انساني، سواء تعلق الأمر بإنتاج الفكر ام ممارسته، ولم يعد ذلك الأمر حكرا على الدراسات الاكاديمية، بل تجاوز ذلك إلى الخطابات اليومية، التي يتداولها الناس فيما بينهم، في كل مكان، ويستهلكونها تحت ضغط الحاجة التي تقتضي تواصلها يجلب

^٧ ينظر : منزلة العواطف في نظريات الحجاج ، ٢٤٠ - ٢٤١ . د.حاتم عبيد ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد ٢ ، ١٤٣٢ - ٢٠١١هـ

^٨ ينظر : مدخل الى الحجاج ، مصدر سبق ذكره، ١٧

^٩ منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، القرطاجني تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجه ، الطبعة الرسمية ، الجمهورية التونسية ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ ، ٣٦١ .

المنفعة والتفاهم وقضاء المآرب والمصالح و...، إنها الاشكال التي تطرح نظرية الحجاج بوصفها في الحقيقة حلقة الوصل لكل النقاشات التي دارت حول الخطاب والتواصل منذ القديم وإلى اليوم^(١٠).

إذا ما ربطنا الحجاج بعلم النفس، فإننا نجده يرتبط بالدافع، فموضوع الدوافع في أكثر موضوعات علم النفس أهمية واثارة لاهتمام الناس جميعا. فدوافع الإنسان لاعد لها، ولا حصر: الجوع والعطش/ الخوف والغضب/ الحب والكراهة/. الحاجة إلى الأمن والحاجة إلى التقدير الاجتماعي والرغبة في الظهور، أو في التعبير عن الذات، فضلا عن اهداف الانسان ومستوى طموحه وفلسفته في الحياة، ومن الدوافع الأخرى الإنسانية المهمة ايضا شعور الفرد بالنقص والشعور بالذنب، والشعور بالقلق وما يحمله الفرد من امور نفسية مختلفة، والدافع اصطلاح عام شامل يحمل معناه الفاظا كثيرة، لكن علم النفس يحاول التمييز بين بعضها عن بعض ، منها الحاجة/ الحافز/ الباعث/ الميل/ النزعة/ الرغبة/ العاطفة/ الاتجاه/ الغرض/ القصد/ الارادة^(١١).

وهذه الأمور سنبحثها من خلال ربط الدافع باستعمال الشاعر للحجاج في أبياته الشعرية في بحثنا هذا، فليس لشخص أن يصوغ نصاً متوسلاً بأساليب النطق إلا إذا امتلك مهارة متفوقة في فنه^(١٢)

^{١٠} ينظر : بلاغة الحجاج في الشعر العربي ابن روجي انموذجاً ، د.إبراهيم عبد المنعم إبراهيم ، مكتبة القاهرة ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧ ، ١٠ ،

^{١١} ينظر : أصول علم النفس بتصريف، د.احمد عزت ، الطبعة التاسعة (د.ن) ، ٦٧ - ٦٨ - ٦٩

^{١٢} ينظر : شعرية المحاجة ، ١٢ ، سامع الدواشدة ، مجلة ابحاث اليرموك ، العدد ١٥ ، جامعة اليرموك ، الاردن ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ .

الحجاج في معلقة امرئ القيس:

إن قصة المعلقة معروفة، ولكن لا بأس من ذكرها باختصار، إذ ذكر رواة العرب أن الشاعر كان يعشق (عنيزة) ابنة عمه شرحبيل، وكان لا يحظي بلقائها ووصالها، فكان ينتظر ظعن الحي ، ويتخلف عن الرجال حتى إذا طعنت النساء سبقهن إلى الغدير المسمى (دابة جلجل) واستخفى ، ثم علم أنهن إذا وردن هذا الماء اغتسلن . فلما وردت النسوة وكانت (عنيزة)فيهن ونضون ثيابهن وشرعن في الانغماس في الماء ظهر (امرؤ القيس) وجمع ثيابهن وجلس عليها، ثم حلف على أن لا يدفع اليهن الثياب إلا بعد أن يخرجن إليه عاريات ، وبقين في الماء زمناً طويلاً من النهار فأبى إلا إبراز قسمه، فخرجت إليه أو قحهن فرمى بثيابها، ثم تتابعن حتى بقيت ابنة عمه (عنيزة) وأقسمت عليه فقال : يا ابنة الكرام لا بد لك من أن تفعلي مثل ما فعلن فخرجت إليه ، فلما لبسن الثياب أخذن في عزلة وقلن : قد جوعتنا وأخرتنا عن الحي .

فقال لهن : لو عقرت راحلتي أتاكن ؟ قلن نعم . فعقر راحلته ونحرها ، فلما ارتحلن قسمن أمتعه فبقى هو دون راحلة ، فقال لعنيزة : يا ابنة الكرام لا بد لك من أن تحمليني ، والحت عليها صواحبها أن تحمله على مقدم هودجها ، فحملته ، فجعل يدخل رأسه في الهودج يقبلها ويشمها^(١٣).

فقال في ذلك امرؤ القيس:

قِفَا نَبِكْ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ	بَسِطِ اللّوِي بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
فَتَوْضِحَ فَالْمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهُ	لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالِ
تَرَى بَعَرَ الأَرَامِ فِي عَرَصَاتِهِ	وَقِيْعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلٍ ^(١٤)

^{١٣} ينظر : شرح المعلقات السبع ، ٥ ، للزوزني تحقيق أ.د. أحمد شتيوي ، دار الغد الجديد ، الطبعة الاولى ،

١٤٢٧-٢٠٠٦ هـ.

^{١٤} المصدر نفسه : ٦

معلقة الشاعر تبدأ فيها السلسلة الحجاجية من أول كلمة نطقها ألا وهي (قفا)، فهذا الفعل وهو فعل أمر أطلقه الشاعر لصاحبيه ، والغاية منه هو التوقف والإعانة على البكاء معه عند تذكره حبيباً مفارقاً ومنزلاً أخرج منه ، وذلك الحبيب ، وذلك المنزل حدد الشاعر مكانه بمنقطع الرمل المعوج بين هذين الموضوعين (الدخول فحول)، ثم استمر بإسناد (الحجج) الواحدة تلو الأخرى (فتوضح والمقراة) وهما موضعان لم ينمِحِ اثرهما ، معطياً السبب في ذلك . لأنه إذا غطتها إحدى الريحين بالتراب كشفت الأخرى التراب عنها ، وبما أن مقدمة المعلقة كما قلنا تدور حول المرأة والحب، فقد يكون المعنى بأنه لم يعف رسم حبها من قلب الشاعر، وإن نسجته الريحان ، ثم يذكر الشاعر (حجة ضمنية) لتغيير أحوال الدار من خلال ذكر لازمة من لوازم الساكن الجديد (الأرام) ألا وهي (البعر) دلالة على مغادرة الأهلوالأحبة وفقر الدار بعدهم ، وكيف سكنت بها الطباء ونثرت في ساحتها بعرها حتى غدا كأنه حب الفلفل .

ذكرنا قصة المعلقة وارتباطها بالمرأة بالدرجة الاساس ، وهذا يجعلنا نقول: إن الدافع كان (الدافع الجنسي) ، وإن كان مغلفاً بعاطفة الحب لأبنة عمه (عنيزة)، ألا إن رغبة الشاعر برؤية الحبيبة مجردة من ثيابها تغلبت على طابع التعقل والتأني ، فالدوافع الجنسية لدى الإنسان (من أقوى الدوافع وأكبرها أثراً في سلوكه وصحته النفسية)^(١٥) ، لذلك وجدنا الشاعر يصف هذه المحبوبة ويشبهها في أكثر من صورة وهذه الصور ما هي إلا حجج ضمنية لدعم الفكرة المطروحة أساساً :-

فقال لك الويلات إنك مُرجلي	ويوم دخلتُ الخدرِ خدرِ عنيزة
عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل	تقولُ وقد مالَ العَبِيطُ بنا معاً
ولا تُبعديني من جناك المغلل	فقلْتُ لها سيرِي وأرْخي زِمَامَهُ
فألهيئها عن ذي تمانم محول	فمِثْلِكِ حُبْلِي قد طَرَقْتُ ومُرْضِعِ
بشِقِّ وَتحتي شِقُّها لم يُحَوِّل ⁽¹⁶⁾	إذا ما بكى من خلفها انصرفتُ له

^{١٥} اصول علم النفس ، مصدر سبق ذكره ، ٧٨، وينظر منزلة العواصف في نظرية الحجاج ، د.حاتم عبيد ،

مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد الثاني ، المجلد العاشر ، ١٤٣٢-٢٠١١ ، ص ٢٥٩

^{١٦} شرح المعلقات السبع ، مصدر سبق ذكره ، ١٢-١٥

حجاجية هذه الأبيات قائمة على أسلوب الحوار بين (أنا الشاعر) و (أنتِ المحبوبة) بين رغبته هو، وتمتعها هي، بين تقربه وأسباب التقرب، (ولا تبعديني عن جناك المعلى)، وبين ابتعادها وأسباب هذا البعد (عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل) . ومما يلاحظ في هذه الأبيات الترابط السببي فهي تقول : قد ادبرت ظهر بعيري فانزل منه ، فكان الجواب منه أيضا بصيغة الأمر ، سيرى وارخي زمام البعير ولا تبعديني مما انال من (عناقك وشمك وتقبيلك) الذي يلهيني أو الذي أكرره، وقد جعل العشيقة بمنزلة الشجرة المثمرة بصورة إيحائية جميلة .

ثم اسند حجته ليقوي ويدعم موقفه أمام المحبوبة بأنه يتعرض لعلاقاته النسائية المتعددة، فهو يعمد إلى الفخر بالنفس ، ولكن بطريقة في عرف المحبين وقحة نوعا ما ، إذ ذكر علاقاته امامها وخص بالذكر (الحبلى والمرضع) ، لأنهما زهد النساء في الرجال ، واقلهن شغفا بهم ، مبينا الغاية من ذلك إذ قال : بأنه خدع مثلهما مع اشتغالهما بأنفسهما فكيف تتخلصين مني؟! ولم تستطع الأم المرضع ذلك حتى مع بكاء رضيعها لشدة ميلها وكلفها به.

وبعد ذلك الفخر بالرجولة والفحولة في قوله :

أفاطمُ مهلاً بعض هذا التدلل	وإن كنتِ قد أزمعتِ صرمي فأجملي
وإن تكُ قد ساءتِكِ مني خليفةً	فسلّي ثيابي من ثيابكِ تنسلي
أغرّكِ مني أنّ حُبكِ قاتلي	وأنتِ مهما تأمري القلب يفعل
وما دَرَفْتِ عَيْنكِ إلا لتضربي	بسهميكِ في أعشارِ قلبٍ مُقتلٍ ^(١٧)

كما ذكرنا (عنيزة) سابقاً بأنها عشيقته وابنة عمه وقد قيل : هذا لقب لها واسمها (فاطمة)، ونلاحظ هنا التناقض واضحاً عن الأبيات السابقة، فبعد الصوت العالي والتفاخر بالعلاقات النسائية ، يرجع الشاعر الى الصوت الخافت واستعطاف المحبوبة بقوله (مهلاً اي رفقاً) ، وقد اشار الشاعر إلى حقيقة إنسانية ممكن أن تكون عامة لا تقتصر على علاقة

^{١٧} نفسه : ١٦-١٧

الرجل بالمرأة حصراً ، تلك الحقيقة مفادها ، إنّ الإنسان حينما يثق بحب غيره له ممكن أن يقدم على اذيته بقصد ، أو بدون قصد ، وهو واثق من تملكه لذلك الشخص مهما فعل . من هذه الحقيقة انطلق الشاعر لمخاطبة (فاطمة) بأن تدع الدلال ، ولا توطن نفسها على فراقه وان كانت قد فعلت فقد طلب منها الأجل بذاك الهجران والأذى ، منطلقاً من الحجة السببية لذلك الفعل إلا وهو قوله: (أغرك) ذلك الاستفهام الذي خرج للتقرير وليس للاستفهام والاستخبار ، فالذي دعاها لهذا الدلال هو تيقنها من كون حبها قاتل الشاعر ، وكون قلبه طوع أمرها، بحيث مهما أمرته بشيء فعله . ثم استمر الشاعر في اكمال الصورة التي بدأها، فإذا كان دلالك هذا وهجرانك سببه خلق من أخلاقي قد ساءك، فالحل موجود بقوله (فسلّي ثيابي من ثيابك تنسل)، أي ردي عليّ قلبي أفارقك فأراد بالثياب بمعنى القلب، وهذا من باب المجاز المرسل بعلاقة المجاورة . واستمر الشاعر في تكثيف صورة دلال تلك المحبوبة وادائها له باستعمالها سلاح المرأة (الدموع) وقد استعار للحظ عينيها ودمعها اسم (السهم) لتأثيرهما في القلوب وجرحهما إياه كما أن السهام تفعل ذلك وتؤثر فيها فسبب البكاء والدموع هنا أيضاً حجة سببية وهي لصيد قلبه بسهمها وتجرح قطع قلبه الذي ذللته بعشقها غاية التذليل .

واستمر الشاعر بوصف صفات المحبوبة وهي امرأة دقيقة الخصر ضامرة البطن، ولا مسترخية وصدورها يراق اللون متألئ الصفاء تألؤ المرأة بقوله :

مهفهفه بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل^(١٨)

والشاعر بذكر تلك الصفات الحسية المؤكدة للجمال انما يعطي سببا وحجة منطقية لتعلقه بتلك المرأة ، وتذللها لها . ويستمر بتشبيهه لها بالطبي الخالص البياض ، وذكره لتلك الصفات وحالة المد والجزر في علاقته بها بقوله :

تصد وتبدي عن أسيلٍ وتتقي	بناظرةٍ من وحشٍ وجرةٍ مُطفلٍ
وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش	إذا هي نصتُهُ ولا بمُعطلٍ

^{١٨} نفسه : ٢٢

فهذه المحبوبة تصدعنه وتبدي له خذا ناعما، وترمقه بنظرة الطباء، وقد شبه العيون هنا بعيون الطيبة التي لها صغار، وقد خصها بتلك النظرة والعيون . لأنها - أي الطيبة - في تلك الحال تنظر إلى صغارها بالعطف والشفقة، وهي بذلك أحسن عيوناً في تلك الحال منهن في سائر الأحوال، وبعد أن وصف العين والخذ انتقل إلى وصف الجيد، وهو هنا يصفه (كجيد الريم) -الطبي الخالص البياض - وبذلك ذكر الجزء وأراد الكل، أي أن جسدها كله ابيض يغريه ، وزاد هذا الإغراء وجود التضاد بذلك الشعر (الأسود الفاحم) الكثيف والطويل ، الذي يزين ظهرها إذا أرسلته عليه ، ثم شبه ذوابتيها بقنو النحلة أخرجت فنواتها ، فالذوائب هنا تشبه بالعناقيد . كل تلك الصفات ما هي إلا حجج ضمنية وسببية لإقناع نفسه ، وإقناع الآخر بسبب تعلقه بها وتذللها لها ، ومع ذلك كله فإنه كان يتعرض إلى اللوم والنصح من الآخرين على ذلك الهوى ، فكان موقف الشاعر ورده بأنه لم يتأثر بعذل ونصيحة ذلك العاذل :-

أَلَا رَبِّ خَصْمٍ فَيْكَ أَلْوَى رَدَدْتُهُ	نصيح على تعدّاله غير مؤثّل
وليل كموج البحر أرخى سدوله	عليّ بأنواع الهموم ليبتلي
فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّى بِصَلْبِهِ	وأردف أعجازاً وناءً بكلل
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي	بصُبْحٍ وما الإصباح منك بأمثل
فيا لك من ليل كأن نجومه	بكل مغار الفتل شدت بيذبل
كأن الثريا علقت في مصامها	بأمراسٍ كتانٍ إلى صمّ جندل ^(٢٠)

بعد أنأمعنالشاعر في الغزل من أول بيت إلى البيت الثالث والأربعين من المعلّقة، انتقل هنا إلى موضوع يرتبط بشكل، أو بآخر بالغزل، إلا وهو (الصبر والتجلد)، فقد كان يحاكي

^{١٩} نفسه : ٢٤

^{٢٠} نفسه : ٢٨ - ٣٠

ليلاً كأمواج البحر في توحشه وتقلبه، وقد أرخى عليه ستور ظلامه مع أنواع الأحزان والهموم، ليختبر صبر الشاعر من عدمه، فكانت ردة الفعل من الشاعر بعد أن تمدد هذا الليل، وازدادت مآخيره امتداداً وتطاولاً، قال له: (انكشف أيها الليل بضياء من الصبح)، ثم عرج قائلاً (وما الإصباح منك بأمثل)، فإنّ الهموم تتقاسم الشاعر ليلاً ونهاراً، وقد برع الشاعر هنا في صورة (الليل)، وما وظفه فيها من استعارات جميلة دليل البراعة والتفنن في أدوات التمكن الشعري، الذي كان وسيلة الشاعر لإعطاء المتلقي الحجاج المختلف في مدى قدرة وتحمل مشقة الهموم والأحزان ، مع وجود ذلك الليل ، وبتلك الصورة المعبرة ، التي جعلته يتعجب منه - أي من الليل - فكأن نجومه شدت بحبال من الكتان إلى صخور صلاب ، فهي لا تزول من أماكنها ولا تغرب ، فحجة عدم زهاب الهموم مرتبطة بثبات ذلك الليل وطوله .

وبعد أن ذكر الشاعر المرأة وذكر الليل بدأ بعرض صورة الرحلة من خلال قوله :

وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا عَوَى : إِنَّ شَأْنَنَا
مِثْلَنَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئًا أَفَاتَهُ
وَقَدْ أَعْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا
يُزِلُّ الْغَلَامَ الْخَفَّ عَنْ صَهْوَاتِهِ
دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الْوَالِيدِ أَمْرَهُ
كَأَنَّ عَلَى الْمُتَنِينِ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى
كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ
فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ وَلِجَامُهُ
بِهِ الذَّنْبُ يَعْوِي كَالْخَلِيعِ الْمُعِيلِ
قَلِيلُ الْغِنَى إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَمَوَّلَ
وَمَنْ يَحْتَرِثُ حَرْثِي وَحَرْثَكَ يَهْزَلُ
بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ
وَيُلْوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثَقَّلِ
تَتَابَعُ كَفَيْهِ بِخَيْطِ مُوَصَّلِ
مَدَاكَ عَرُوسٍ أَوْ صَلَايَةَ حَنْظَلِ
عُصَارَةَ حِنَاءٍ بِشَيْبِ مُرْجَلِ
وَبَاتَ بَعَيْنِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلِ^(٢١)

الحمار في الخلاء من البنات والأنس دلالة على أنه يسلك أودية مقفرة مما يعني شجاعة وإقدام وعدم الخوف ، ويستعرض ما رآه في ذلك الوادي وهو (الذئب) الذي كان يعوي من فرط الجوع ، الذي شبهه كالمقامر الذي كثر عياله ، وهو مطالبان ينفق عليهم، وهو لا يجد ما ينفقه ، مما يؤدي إلى المخاصمة بينهم وعدم الرضا . وهذا البيت يتمثل بالآتي .

وادي قفر : ← شبيهه بوادي الحمير ، رأى فيه الذئب : الذي شبهه بالمقامر كثير العيال مع الفقر ، والحمل الصورة في البيت الثاني ، فقد حاور الشاعر ذلك الذئب لما صاح من الجوع إن شأننا وأمرنا أننا يقل غنانا ، بمعنى أننا نطلب الغنى ثم لا نظفر به . هذه الصور المكثفة عن (الوادي والذئب والغنى والفقر) ، ما هي إلا رؤية خاصة بالشاعر، وحجة مبطنة منه ليبين أنه إذا ظفر بشيء فوته على نفسه ، أي إذا ملك شيئاً أنفقه وبذره ، وأكد ذلك بأن من سعى سعيه ، وسعى ذلك الذئب افتقر وعاش مهزول العيش ، وهذا هو محتوى الفكرة المطروحة ، التي نستشف منها خصلة من الخصال التي تكرهها النساء في الرجال عموماً ، وفي الشاعر خصوصاً ، ألا وهي خصلة التبذير .

^{٢١} نفسه : ٣١ - ٤٠

وهنا نجد ربطاً بالموضوع الأساس للمعلقة، هو علاقة الرجل بالمرأة . فمن ضمن الحجج السببية لصد المرأة وتركها الرجل هو التبذير، واحيانا يكون قلة ذات اليد سبباً لنفور المرأة ايضاً .

بعد وصف الوادي الذي مر به كان لازماً وصف رفيقه بهذه الرحلة، ألا وهو (الفرس)، والفرس هنا (معادل موضوعي) للقوة والشباب والشجاعة ، فهو فرس ماض في السير، قليل الشعر ، يقيد الوحوش بسرعة لحاقه إياها، عظيم الألواح ، فهو يباكر الصيد قبل نهوض الطير من أوكارها على فرس هذه صفاته ، ثم ينتقل إلى مدح نفسه والفخر بها من خلال وصف هذا الفرس بأنه يزل ويزلق الغلام الخفيف عن مقعده ، بمعنى انه يرفض من لم يكن جيد الفروسية ، وهذه حجة جيدة له بأنه فارس يشار له بالبنان ، مع انه يملك فرساً مديم السير والعدو متابع لهما، فقد شبهه في سرعته تلك (بالخدروف) في دوراته - وهي لعبة الصبيان تتكون من حصة مثقوبة يجعل الصبي فيها خيطا فيديرها على رأسه، واستمر في تجسيد صورته، مشبها انملاس ظهره واكتنازه باللحم بالحجر الذي تسحق العروس به الطيب ، وذكره وهو عليه دماء اوائل الصيد والوحش بعصارة الحنّاء ، وختم صورة الفرس بأنه - بات مسرجا ملجما ، قائماً بين يديه غير مرسل إلى المدعى ، دلالة على الاستعداد والتأهب لأي ظرف طارئ .

كل تلك الصور والحجج التشبيهية والسببية ، إنما أراد بها غاية واحدة ، وهي إقناع المقابل بأنه صلب وقوي ، شاب صبور مقدم ، فكأن الوادي والفرس مرآة عاكسة لصورة الشاعر وعنفوانه .

الحجاج في معلقة طرفة بن العبد

طرفة بن العبد هو عمر بن عبد بن سفيان ، ولقبه طرفة ، ولد في البحرين في بيت عريق الأصل، مات بعد عشرين سنة وقيل بعد ست وعشرين ، وكان شاعراً جريئاً على الشعر ، وهو الشاب الغض الذي احس بأنه قد بخس حقه في الحياة بأمر من الملك عمرو بن هند ، فضلا عن خذلان قومه له ، مما زاد من قوة وعمق تلك الآلام ، لأنهم تخلوا عنه في اصعب الظروف واحرجها ، فتبين له أن ليس هناك محبة صادقة ، فهم كالثعالب في روغانهم منه ،

نفوسهم شريرة وقلوبهم سوداء ولا يعنيهـم ما وصموا به من خزي وعار جراء عدم نصرتهم له .
(٢٢)

ولطرفة مع امرئ القيس مكانة في الشعر العربي حتى قال بعض المحدثين ((ونحن من
اولى هذه الموجات نجد أنفسنا طفرة فوق القمة مع امرئ القيس وطرفة) (٢٣)

واحساسالشاعر يتكرر في أشعاره بظلم قومه وخذلانهم، لا سيما وهو بأشد الحاجة إليهم .

فنجده قائلاً :-

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِبُرْقَةٍ نَهَمَدِ،	تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ
وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ	يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَلَّدِ
كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ عُذْوَةٌ	خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوْصِيفِ مِنْ دَدِ
وَإِنِّي لِأَمْضِي الْهَمَّ، عِنْدَ احْتِضَارِهِ،	بعوجاء مرقالٍ تروخُ وتغتدي
أَمُونٍ كَأَلْوِاحِ الْإِرَانِ نَصَاتُهَا	عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجَدِ
جَمَالِيَّةٍ وَجَنَاءَ تَرْدِي كَأَنَّهَُا	سَفَنَجَةٌ تَبْرِي لِأَزَعَرَ أَرِيدِ
تَبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتَبَعْتُ	وَوَظِيفًا وَوَظِيفًا فَوْقَ مَوْرِ مُعَبَّدِ
كَأَنَّ جَنَاحِي مُضْرَحِيٌّ تَكْنَفَا	حِفَافِيهِ شُكَا فِي الْعَسِيبِ بِمَسْرَدِ
فَطُورًا بِهِ خُلْفَ الزَّمِيلِ، وَتَارَةً	عَلَى حَشْفِ كَالشَّنِّ ذَاوٍ مُجَدَّدِ

^{٢٢} ينظر : الشاعر الجاهلي ، الشاب طرفة بن العبد ، دراسة لشعره وشخصية ، د.علي الجندي ، دار الفكر العربي ، (د.ن) ، ٣٦٨

^{٢٣} الوصف عند امرئ القيس : ٢٥ ، دراسة تحليلية ، نصر الدين فارس ، دار المعارف ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٨-١٤٠٨ هـ

لها فَخْدَانِ أُمَلِّ النَّحْضُ فِيهِمَا	كَأَنَّهُمَا بَابَا مُنِيفٍ مُمَرَّدٍ
وطني مَحَالٍ كَالْحَنِيِّ خُلُوفُهُ،	وَأَجْرِنَةَ لُزَّتْ بِدَائِي مُنْضَدًا ^(٢٤)

بدأ الشاعر معلقته بالوقوف على الاطلال ، شأنه في ذلك شأن كل الشعراء الجاهليين ، إلا إن لكل شاعر منهم تجربته الخاصة ، ومن ثم لكل واحد منهم طريقته التعبيرية الخاصة به ، ومن هنا كان التنوع والحيوية في الوقوف على الأطلال ، فلكل وقفة اجواءها الخاصة وايحاءها الذاتي ، والدافع وراء هذه الوقفة ، فمعلقة طرفة تختلف عن معلقة امرئ القيس ، وإن كان الاثنان قد وقفا على الطلل .

فوقوف امرئ القيس كان بدافع (الحب والرغبة) ، أما الوقوف عند طرفة فقد كان مختلفاً نابعاً من (إحساس الظلم والألم) من ظلم قومه ماضياً وحاضراً ، فبدأ الشاعر بذكر المرأة وما لها من أطلال ديار بالموضوع الذي يخالط أرضه (حجارة وحصى) ، وقد شبه لمعان تلك الأطلال بلمعان (الوشم في ظاهر الكف) ، وبين سبب وقوف أصحابه هناك ليخففوا عنه حزنه وبطالونه بالتصير (التجلد) على فراق (المالكية) حبيبته التي شبه مراكبها غدوة فراقها بالسفن العظام ، ثم انتقل بعد ذلك يوصف ناقته ، مبيناً أنها ناقدة نشيطة في سيرها ، وأنها تصل سيرها الليل بالنهار دلالة على سرعتها ونشاطها ، والحجة في ذلك هو الحاجة إلى التخلص من الهم والوجع ، بتلك الناقدة المسرعة لكي يبتعد عن أرض الذكريات والألم . ثم فصل بوصف هذه الناقدة ، فقد منح الشاعر الناقدة ثمانية وعشرين بيتاً من معلقته ، فوصفها وصفاً دقيقاً ، فهي تشبه ألواح التابوت العظيم ، يريد أنه يمضي همه بناقة موثقة الخلق ، ثم شبه الطريق بالكساء المخطط لأن فيه امثال الخطوط العجيبة ، وفي ذلك اشارة الى كثرة الطرق والتشعب ، مما يعطي صورة عن جانب من جوانب حياة الشاعر المتشابكة والمتداخلة ، ولكي يواجه هذه الحياة لابد من أن يكون لديه رفيقة (الناقدة) في رحلته، وتكون بمواصفات خاصة لذا وجدناه يشبهها بالجمل في وثاقة الخلق، مكنتزة اللحم، تعدو كأنها نعامة تعرضت لظلم قليل الشعر، فشبه عدوها بعدو النعامة في هذه الحال.

^{٢٤} شرح المعلقات السبع ، مصدر سبق ذكره ، ٤٩ - ٥٥

و(طرفة بن العبد)، حين قام بهذا الأسلوب الوصفي، إنما أراد أن يسحب المتلقي، ويجعله شريكاً مع النص، وعن طريق دخول المستمع باحة القصيدة، وعيش تفاصيلها، من خلال ما يستعمله الشاعر من بلاغة، وتكون البلاغة هنا، بلاغة إمتاعٍ للمتلقي، واستمالاته إلى نفسه، لكي تتحقق الغايات الحجاجية، إذ يعمل الشاعر على إقناع الآخر الجمعي، بعد ما يرمي له طعم جمالية اللغة والأسلوب، اللذان يعملان على مد حبل التواصل والتفاعل، وهذا جانبٌ من الاختيارات الأسلوبية في الحجاج.

و((الواقع أن فكرة الناقاة من أكثر الأفكار تنوعاً ، فالناقاة منبت كل ما أهم واقلق واحزن الشاعر الجاهلي ، أو هي التي تخلق الأفكار)) (٢٥)

ثم وصف ذنب الناقاة وكأنه جناحي نسر أبيض في الباطن ، تارة تضرب هذه الناقاة ذنبها على عجزها خلف رديف راكبها وتارة تضرب على أخلاف متشنجة كقربة بالية وقد انقطع لبنها . ويستمر يوصف هذه الناقاة ، فلها فخذان أكمل لحمها مشابها مصراعي باب قصر عال مملس، كذلك لها فقار مطوية متداخلة كأن الأضلاع المتصلة بها قسى ولها باطن عنق وقرن إلى حرز عنق قد نضد بعضه على بعض ، فكأن الناقاة عنده كما يأتي:

الناقاة بالقوة كالجمل / في السرعة كالنعامة / بياض ذنبها كجناحي نسر / فخذ الناقاة كمصراعي باب / فقار ظهرها قسى (صلبة غليظة) . ←

كل تلك الصور والتشبيهات ما هي إلا حجة لإعطاء الناقاة صفة القوة والتحمل والصبر، لقسوة رحلة الشاعر وصعوبتها في هذه الحياة مما جعله حسب وجهة نظره ، يسكن بيوت الخمارين، فهو يذكر انه بين الحاليين الجد والهزل، إذا طُلب في محفل القوم كان حاضراً ، وان يُطلب في بيوت الخمارين يضطهد هناك ايضاً ، وهو حاضر أيضاً في مساعدة قومه في قرى الاضياف ، وحاضراً أيضاً في قتال الأعداء والحساد :-

ولكن متى يسترفد القومُ أرفد	ولستُ بحلال التلاع مخافةً
وإن تلتمِسني في الحوانيت تصد	فان تبغني في حلقة القوم تلتني

^{٢٥}قراءة ثانية لشعرنا القديم : د.مصطفى ناصيف ، دار الاندلس للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ -

ثم يذكر الشاعر الحجة في ابعاد قومه له :

وما زال تشرابي الخمر ولذتي	وبيعي وإنفاقي طريفي ومُتلدي
إلى أن تحامنتي العشيرة كلها،	وأفردتُ إفرادَ البعيرِ المُعَدِّ
رأيتُ بني غبراء لا يُنكرونني،	ولا أهلُ هذالكَ الطرفِ الممدِّ
ألا أيُّ هذا اللانمي أحضر الوغي	وأن أشهدَ اللذاتِ، هل أنتَ مُخليدي؟
فإن كنتَ لا تستطيع دفع منيَّتي	فدعني أبادرها بما ملكتَ يدي
كريمٌ يُروِّي نفسه في حياته،	ستعلم ان مُتنا غداً أيُّنا الصدي
أرى قَبْرَ نَحَامٍ بَخِيلٍ بِمالِهِ،	كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي البَطَالَةِ مُفْسِدِ
تَرى جُثُوتَيْنِ من تُرابٍ، عَلِيهما	صَفائِحُ صُمَّ من صَفِيحٍ مُنضَّدِ
أرى الموتَ يعتامُ الكرامَ ويصطفي	عقيلةَ مالِ الفاحشِ المتشدِّدِ
أرى العيشَ كَنزاً ناقصاً كلَّ ليلةٍ	وما تَنقُصُ الأيَّامُ والدَّهْرُ يَنفَدِ
لعمركَ إنَّ الموتَ ما أخطأ الفتى	لَكَالطَّوْلِ المُرخى وثِناهُ باليَدِ ⁽²⁶⁾

فالشاعر هنا يذكر (الحجة السببية) ، فغريته وابعاده عن قومه ما هي الا نتيجة لانغماسه في الملذات وطيشه وتهوره ، فموقف العشيرة ما هو الا من صنع يديه ، فهو من حكم على نفسه بهذا الابعاد ، ثم نجده يعطي (الحجة القياسية) بطريقة الابعاد تلك ، فقد تجنبتة عشيرته كما يتجنب البعير المطلي بالقطران ، وقد افردته العشيرة لما رأته منه من عدم الكف من اتلاف المال والاشتغال باللذات .

²⁶ شرح المعلمات السبع ، مصدر سبق ذكره : ٦٤ - ٦٨

ثم يذكر إن كان هجرني الأقارب ، فقد وصلني الأباعد ، ويعطي السبب والحجة في ذلك ، فقد وصلني الفقراء والأغنياء ، هؤلاء لطلب المعروف مني ، وهؤلاء لطلب العلاء واستطابتهم صحبتي ومنادمتي .

بعد ذلك يعرض الشاعر وجهة نظره في الحياة والموت والملذات رداً على من لامه في شؤون حياته ، من خلال طرحه لذلك السؤال على اللائم ، هل ممكن أن يخلد الشاعر إن كف عن حضور الحرب وحضور الملذات ؟ ! ثم يجيب عن هذا السؤال بعد عجز اللائم عن الجواب ، فإن كنت لا تستطيع أن تدفع موتي عني ، فدعني ابادر الموت بإنفاق أملاكي، (والحجة المنطقية)، كما يراها الشاعر هنا هي أن الموت لا بد منه ، فلا معنى للبخل بالمال وترك الملذات، فهو الكريم الذي يروي نفسه أيام حياته بالخمير ، ويخبره إذا متنا ستعلم غداً أيانا العطشان، بمعنى أنه يموت ريان، وعاذله يموت عطشان ، ثم يعطي مثلاً آخر، وحجة قياسية معتمداً التشبيه في ذلك لتقوية وجهة نظره تلك ، فقال إنه رأى قبري البخيل والكريم (كومتين من التراب) لا فرق بينهما ، فالموت يعم الاجواد والبخلاء ، ويريد أنه لا تخلص منه الواحد من الصنفين ، فلا يجدي البخل على صاحبه بخير، فالجواد أحرى لأنه أحمد .

والايبات سلسلة متصلة من الحجج القياسية والمنطقية والحكمية ، وهذا ما اكده الشاعر من خلال تشبيهه البقاء بكنز ينقص كل ليلة وما يزال ينقص فإنه لا محالة مآله إلى النفاد ، قاسماً ب حياة من يحادثه بحقيقة الموت التي شبهها وقاسها بمنزلة صاحب الدابة ، التي أرخى طولها، فمتى شاء الموت قاد الفتى لهلاكه ، يريد انه لا يتخلص منه ، كما أن الدابة ، لا تقلت ما دام صاحبها اخذا بطرفي طولها .

ثم اكمل الشاعر المعلقة بقوله :

على المرء من وَقَعِ الحُسامِ المُهَنْدِ	وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةً
ولو حلَّ بيتي نائياً عندَ ضرغد	فذرني وخُلقي انني لك شاكرٌ
ولو شاءَ ربي كنتُ عمرو بنَ مرثد	فلو شاءَ ربي كنتُ قيسَ بنَ خالدٍ،

فأصبحتُ ذا مالٍ كثيرٍ وزارني	بنونَ كرامٍ سادةً لمسود
فلو كُنْتُ وَغَلًّا فِي الرَّجَالِ لَضَرَنِي	عداوةٌ ذي الأَصْحَابِ وَالْمَتَوَحِّدِ
وَلَكِنْ نَفَى عَنِّي الرَّجَالَ جِرَاعَتِي	عَلَيْهِمْ وَإِقْدَامِي وَصِدْقِي وَمَخْتَدِي ^(٢٧)

إن الحجة في قوله: (وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة...)، قياسية سببية، إذ أراد بها تصوير مابه من وجع روحي، وأثر نفسي، الذي يفوق الوجع الجسدي حدةً وألمًا؛ لأنه من أقرب الناس، وبذلك يكون أشدّ قساوةً، وأكثر إجحافًا وتسلطًا، وظلماً من (وقع الحسام المهند). وهو بذلك يقيس ويقارن بين الألمين، ويغلب الألم النفسي على الجسدي، وأعطى حجته في ذلك، وقد أجاد استعمال اللغة ببعدها الدلالي، فبلغ مراده من المتلقي.

وقد اعتمد الشاعر على مبدأ القياس في أكثر من موضوع منها قوله في ابن عمه :

يَلُومُ وَمَا أُدْرِي عِلَامَ يَلُومُنِي	كَمَا لِأَمْنِي فِي الْحَيِّ قُرْطُ بُنٍ مَعْبِدِ
وَأَيَّاسُنِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ طَلَبْتُهُ	كَأَنَّا وَضَعْنَاهُ إِلَى رَمْسٍ مُلْحَدِ ^(٢٨)

إذ قال ابن عمه (مالك) يلومه ، وهو جاهل سبب اللوم ، فهو يرى أن لومه إياه ظلم صريح كما كان لوم (قرط) إياه كذلك وكما قلنا انه يعتمد الى القياس ، فيقول : إن مالكا قنطني من كل خير رجوته منه ، يريد أنه آيسه من كل خير طلبه كما أن الميت لا يرجى خيره ، فكانت الحجة هنا قياسية اليأس من الخير تماماً كما الميت لا يرجى منه شيئاً .

بعد اليأس من الاقارب قال : خل بيني وبين خلقي ودعني وسجيتي فإنني شاكر لك ، وإن بعدت غاية البعد حتى لو كان بيتي عند جبل (ضرغد) ، فلو شاء الله بلغني منزلة وقدر (قيس بن خالد) و (عمرو بن مرثد) وهما من سادات العرب المذكورين بوفر المال ونجابه الأولاد ، وشرف النسب وعظم الحساب . فالشاعر لديه شعور بالظلم واحساس بالنقص لما مر به في حياته ، فتبقى هناك امنية في داخله بأن يكون شخصاً اخر ، ولكن هذا لا يعني انه

^{٢٧} نفسه : ٧٠ - ٧٥

^{٢٨} نفسه : ٦٨

رجل جبان أو أصله ضعيف فلو كان ضعيفاً لضرته معاداة ذي الأتباع والمنفرد الذي لا أتباع له فالحجة هنا انه قوي منيع لا يضره معاداة احد له .

الخاتمة

- إن الحجاج هو محاولة التأثير والإقناع بوساطة اللغة ويمتد قدمه إلى بدء الكلام والمحاورة والمجادلة، والحاجة لإثبات رأي دون آخر، وإقناع المخاطب بالرأي والحجة .
- والحجاج هو صراع حوارى بين منطلق الأنا ومنطق الآخر بمعنى هو خطاب يتولد من صراع معين حول قضية ما ، يراد منه إثبات، أو إقناع، أو دحض فكرة، أو رأي
- الحجاج في معلقة امرئ القيس قائم بالدرجة الأساس على الدافع من الحجاج وهو الغريزة (الجنس) والمرأة، هذا ما وجدناه من أول بيت إلى البيت الثالث والأربعين . واعتمد أسلوب (الحجاج السببي)، معتمداً على التشبيه، وتكثيف الصور من خلال الليل والرحلة والفرس، التي تؤكد صبر الشاعر وتجلده وعنفوانه وشجاعته .
- الحجاج في معلقة (طرفة بن العبد)، قائم على أساس الحجاج هو نابع من الإحساس بالظلم والابتعاد والغربة، وكانت الناقاة حاضرة ووصفها بصور مختلفة ومتنوعة لكي تكون بصورة القوة والتحمل والتجدد لتعكس مدى ما يعانيه الشاعر في حياته ورحلته ، وقد عمد الشاعر إلى الحجة السببية والحجة القياسية والمنطقية في إيصال فكرته وآرائه حول الحياة والموت والعلاقات الاجتماعية .

المصادر

- ١- القرآن الكريم
- ٢- أصول علم النفس، دكتور أحمد عزت ، الطبعة التاسعة (د.ت) .
- ٣- بلاغة الحجاج في الشعر العربي ابن الرومي نموذجاً ، د. إبراهيم عبد المنعم إبراهيم، مكتبة الآداب- القاهرة ٢٠٠٧ م .
- ٤- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، إعداد الأستاذة الدكتورة سامية الدريدي، نشر عالم الكتب الحديث ، الأردن ، الطبعة الثانية ٢٠١١ م .
- ٥- الشاعر الجاهلي الشاب طرفة بن العبد ، تحقيق ودراسة لشعره وشخصيته ، د. علي الجندي ، دار الفكر العربي ، د.ت .
- ٦- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة الإمام أبي العباس احمد الشباني ثعلب، مطبعة دار الكتب المصري ، القاهرة ١٩٤٤ .
- ٧- شرح المعلقات السبع ، للزوزني، تحقيق أ.د. أحمد أحمد شتيوي، دار الغد الحديد، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- ٨- في فن الحجاج والجدل ، د.هدى وصفي - دار الهاني ، ٢٠٠٢ م .

٩- قراءة ثانية لشعرنا القديم، د. مصطفى ناصف، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠١ هـ ١٩٨١ .

١٠- كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج ، علي محمد علي سلمان المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠١٠ م .

١١- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر - بيروت

١٢- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، المطبعة الرسمية ، الجمهورية التونسية ١٩٦٦ .

١٣ - موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل احمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠١ م .

١٤- الوصف عند امرئ القيس ، دراسة تحليلية ، نصر الدين فارس ، دار المعارف بحمص، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ .

المجلات والدوريات

١- الحجاج في اللغة، أبو بكر العزاوي، مجلة فكر و نقد، العدد ٦١، سبتمبر ، ٢٠٠٤.

٢- شعرية المحاجة، سامح الدواشدة، مجلة أبحاث اليرموك العدد ١، المجلد ١٥، جامعة اليرموك ، الأردن ١٩٩٧ م .

٣- مدخل الحجاج .. أفلاطونوأرسطو وشايمبيرلمان، د. محمد الولي ، مجلة عالم الفكر - الكويت ، العدد ٢ ، المجلد ١٠ أكتوبر - ديسمبر ٢٠١١ .

٤- منزلة العواطف في نظريات الحجاج ، د. حاتم عبيد، مجلة عالم الفكر - الكويت ، العدد ٢ ، المجلد ١٠ ، أكتوبر - ديسمبر ٢٠١١ .

Sources

- 1- The Holy Quran
- 2- Fundamentals of Psychology, Dr. Ahmed Ezzat, ninth edition (d.
- 3- The eloquence of the pilgrims in the Arabic poetry of Ibn al-Rumi as a model, d. Ibrahim Abdel Moneim Ibrahim, Literature Library – Cairo 2007 AD.
- 4- Al-Hajjaj in Arabic Poetry, Its Structure and Methods, prepared by Professor Samia Al-Dridi, The World of Modern Books Publishing, Jordan, second edition 2011 AD.
- 5- The young pre-Islamic poet Tarfa Bin Al-Abd, an investigation and study of his poetry and his personality, Dr. Ali Al-Jundi, House of Arab Thought, d.
- 6- An explanation of the poetry of Zuhair bin Abi Salma, the work of Imam Abu al-Abbas Ahmad al-ShabaniThaleb, Dar al-Kutub al-Masri Press, Cairo 1944.
- 7- Explanation of the Seven Mu'allaqat, by Zozni, edited by Prof. Dr. Ahmed AhmedShteivi, Dar Al-Ghad Al-Hadid, First Edition 1427 AH – 2006 AD
- 8- In the Art of Pilgrims and Controversy, Dr. HodaWasfi – Dar Al Hani, 2002 AD.

9- A second reading of our old poetry, Dr. Mustafa Nasif, Andalus House for Printing, Publishing and Distribution, Second Edition, 1401 AH 1981.

10- Writing Al-Jahiz in light of the theories of Al-Hajjaj, Ali Muhammad Ali Salman, the Arab Foundation for Studies and Publishing, 2010.

11- Lisan Al Arab, IbnManzoor, Dar Sader – Beirut

12- Manhaj al-Bulgha and Siraj al-Adaba ', the work of Abi Al-Hassan Hazem Al-Carthagini (d.684 AH), edited by Muhammad Al-HabibIbn Al-Khawja, Official Press, Republic of Tunisia 1966.

13 - Laland Philosophical Encyclopedia, Arabization of Khalil Ahmad Khalil, Oweidat Publications, Beirut, second edition, 2001 AD.

14- Description by Imur al-Qais, an analytical study, Nasr al-Din Faris, Dar al-Maarif in Homs, First Edition, 1988.

Magazines and periodicals

1- Al-Hajjaj in Language, Abu Bakr Al-Azzawi, Journal of Fikr and Criticism, Issue 61, September, 2004.

2- The Poetics of Mujaja, Sameh Al-Dawashdeh, Yarmouk Research Journal, Issue 1, Volume 15, Yarmouk University, Jordan, 1997.

3 - The entrance to the pilgrims .. Plato, Aristotle, and Schemperlman, Dr. Muhammad Al-Wali, The World of Thought Magazine – Kuwait, Issue 2, Volume 10 October – December 2011.

4- The status of emotions in the theories of pilgrims, d. HatemObaid,
The World of Thought Magazine – Kuwait, Issue 2, Volume 10,
October – December 2011.